ROUTE
EDUCATIONAL & SOCIAL SCIENCE JOURNAL
ISSN: 2148-5518

Volume 9, Issue 4, July 2022, p.672-695

Article Information

Article Type: *Research Article*

This article was checked by iThenticate.

Article History:
Received
27/06/2022
Received in revised form
07/07/2022
Available online
15/07/2022

THE MULTIPLICITY OF VOICES IN THE NOVELS OF JAMAL AL-GHITANI

Taghreed Abdul Khaleq Hadi
&
Hadeel Ali Sabaa Khammas[1]

Abstract
Talking about the ideological level in the novel is a talk about the deep structure that the author adopts when creating his novelistic world. This depends mainly on his ideological position on the theme of the novel. If the novelist adopts only one position, then we are faced with the novel of one voice. And if he adopts more than one voice, on the surface, this means his "bias" for a particular voice, and then we are facing a polyphonic narrative. But if the text is a smooth surface for the sounds that struggle over it, and the author does not favor one sound over another, then we are faced with an essential multiplicity of sounds. On the basis of this theoretical section, we will discuss the polyphony of voices in the novels of the Egyptian novelist Gamal Al-Ghitani.
Keywords: Polyphony,the novel,Jamal Al-Ghitani

[1] University of Baghdad - College of Education - Department of Arabic Language- hdeel123sabaa@gmail.com

تعدد الاصوات في روايات جمال الغيطاني

تغريد عبد الخالق هادي

&

هديل علي سبع خماس[2]

الملخص

لعل الحديث عن المســـتوى الأيديولوجي في الرواية هو حديث عن البنية العميقة التي يتبناها المؤلف حين يبتدع عالمه الروائي. وهذا يعتمد أساسا على موقفه الأيديولوجي من ثيمة الرواية. فإذا تبنى الروائي موقفا واحدا دون ســـواه، فإننا أمام رواية صـــوت واحد. وإذا تبنى أكثر من صـــوت واحد، ظاهريا، فإن هذا يعني "انحيازه" لصـــوت معين، ومن ثم فإننا أمام رواية متعددة الأصـــوات. أما إذا كان النص ســـطحا املس للأصـــوات التي تتصـــارع عليه، ولم يرجح المؤلف صـــوتا دون آخر، فإننا أمام تعدد جوهري للأصـــوات.وعلى اســـاس هذا المهاد النظري سوف نتناول تعدد الاصوات في روايات الروائي المصري جمال الغيطاني .

الكلمات المفتاحية: تعدد الأصوات، الرواية، جمال الغيطاني .

المقدمة :

إن الحديث عن المستوى الأيديولوجي في الرواية هو حديث عن البنية العميقة التي يتبناها المؤلف حين يبتدع عالمه الروائي. وقبل المضي الى تحليل مفهوم "التعدد الظاهري للأصوات" لا بد أن نوضح مفهوم الصوت الروائي الذي هو الخطاب الذي ينتمي الى الشخصية الروائية، والذي يجسّد بالضرورة أيديولوجيتها ونظرتها الى العالم المروي، فما دام هناك متكلم هناك أيديولوجيا، إذ إن (كل صوت يتميز بصورة أيديولوجية مخصوصة) (1)، أي نظرة الى العالم خاصة به. (ويمكن للصوت أن يمثل كيانه في الرواية بصورة تامة عبر :

1- الانتساب الى شخصية روائية معينة، أي تشخيصه في الرواية.

[2] جامعة النهرين – كلية الطب– القسم: وحدة العلوم الساندة

2- التعبير عن أسلوبها الخاص.

3- تجسيد وجهة نظرها على المستوى الأيديولوجي.

4- توفر ملامح اللغة الاجتماعية التي تنتمي إليها الشخصية (2).

إن حضور الأصوات في الرواية على وفق الشروط أعلاه يجعلها متعددة الأصوات. ولكن هذا التعدد قد يكون تعددا ظاهريا، وقد يكون تعددا جوهريا. والتعدد الظاهري هو (تعدد وجهات النظر تبعا لتعدد الشخصيات، ولكنها تخضع في النهاية لمنظور أيديولوجي حاكم- يمثل منظور المؤلف- وهي تنصهر في بودقة وعي موحد)(3).

مثل هذا التعدد الظاهري لوجهات النظر على المستوى الأيديولوجي وجدناه في رواية "خطط الغيطاني". ومن اللافت للنظر أن الغيطاني في روايته هذه يحاكي تقي الدين المقريزي (1364- 1442هـ) في كتابه "المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار"، حيث يقدم المقريزي وصفا لمصر ومدنها ونيلها وعمرانها بشكل مفصل في عهد المماليك أبان حكمهم في القرنين الرابع عشر والخامس عشر.

إننا نجد في رواية (خطط الغيطاني) توظيفاً أسلوبياً يتمثل بمحاكاة كتاب تاريخي وهو (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار والخطط المقريزية).(4) ويعد هذا الكتاب من الكتب المتخصصة في تاريخ المدن، فهو يدرس الجغرافية التاريخية الإقليمية لمصر الإسلامية. إن رواية (خطط الغيطاني) تحاكي هذا الكتاب من حيث هيكليته والعنوانات التي وظفها الغيطاني، فالمعروف عنه توظيفه للتراث العربي القديم وها هو يحاكي نصاً تراثياً في روايته (خطط الغيطاني) التي تتحدث عن تاريخ مصر من خمسينيات القرن العشرين حتى سبعينياته، راسماً حدودها الجغرافية، والاجتماعية والسياسية، وقد قام بتقسيم رواية الخطط الى جزئين: الجزء الأول هو الشوارع وعددها أربعة، والأسوار وعددها ستة أسوار، أما الجزء الثاني فهو مكون من الضواحي والنواحي والخلاوي. تطغى على السرد في هذه الرواية ظاهرتان هما: القمع والفساد، الخطط تحاكي فترة نهاية العهد الملكي إلى الجمهوري، وهي فترة الخمسينيات من القرن الماضي، فالشخصيات التي تبرز هي شخصية الاستاذ الذي يسيطر على جريدة الانباء، ليقوم بمحاربة العجم وهم رمز إلى الفكر الشيوعي، وعلى رأسهم الاتحاد السوفياتي، أما الإصلاحات فهي تنسب إلى العهد الجمهوري، مثل الخزان الكبير الذي يرمز به إلى السد العالي، والإصلاح الزراعي، وبناء الصناعات الوطنية، أما الأعداء فيقصد بهم اسرائيل، والهزيمة الكبرى هي حرب عام 1967(5).

يمكن القول إن رواية "خطط الغيطاني" تقوم على منظومتين أيديولوجيتين رئيستين هما: أيديولوجيا الهدم، وأيديولوجيا البناء. وتتعامل هاتان الأيديولوجيتان في الرواية بطريقة عاطفية أحيانا مع فكر الإنسان وتاريخه ومستقبله وكيفية النظر الى القضايا السياسية والاجتماعية والفكرية.

تتمثل أيديولوجيا الهدم بشخصيات الخطط التي تتحكم بمبنى جريدة الأنباء ومفاصلها وصناعة الأخبار فيها. ويقع مبنى الجريدة في مركز الخطط، ليس من الناحية الجغرافية فحسب، بل من الناحيتين السلطوية والأيديولوجية. كما إن الجريدة لها مكاتب في كل أنحاء الخطط ومندوبون ومراسلون في مختلف مفاصل الخطط. ولعل مكاتب الأنباء هنا ترمز الى مكاتب الأمن ورجالها الذين يراقبون الناس في الخطط. ومن اللافت للنظر أن الراوي بضمير الغائب يعيد تأسيس جريدة الأنباء، في أربعينيات القرن العشرين– التي هي مركز التحكم بالناس ومنبع الظلم والاضطهاد في الخطط– الى شخصية غامضة من الخارج لعلها كردية أو أرمنية أو تركمانية لكنها ليست مصرية ولا حتى عربية. وهذا يعني أن الراوي ينسب الشر الى خارج الخطط وليس من أحد أبنائها.

وقد اختار الغيطاني الجريدة لأثرها الكبير في صناعة وعي الجماهير وتوجيهها أيديولوجيا. ويأتي على رأس العاملين في جريدة الأنباء رئيس تحريرها الذي لا يُعرف له اسم، والملقب بـ"الأستاذ".

من سمات الأستاذ أنه يقرّب الناس الفاشلين وعديمي الكفاءة لإدارة جريدة الأنباء، ومنهم الطنبولي:

(يقال إن أحدهم حدّث الأستاذ عن شاب لا يصادق إلاّ الحانوتية وحفاري القبور، لا تفوته دفنة، طالب طب لكنه فاشل، يكره النجاح لنفسه. مال الأستاذ الى ذلك. قال ائتوني به. عرض عليه العمل في الدار. من المؤكد أن الطنبولي لم يتم تعليمه، لكن أعوامه في الطب منحته لقب دكتور)(6).

إن ميل الأستاذ الى الشخصيات غير الكفوءة لإدارة شؤون الخطط عموما وشؤون الدار خصوصا يوحي برغبة الأستاذ بعدم ظهور أي شخصية يمكن أن تنافسه على إدارة الدار. وقد يرمز هذا التعيين الى أن مثل هذه الميول الشخصية للأستاذ قد أسهمت لاحقا بانهيار الدار ونكبة الخطط.

كما إن الأستاذ يقرّب إليه التنوخي الذي كان سجينا بتهمة التزوير، ومطرودا من أبيه، لكن الأستاذ يرتاح له بصفته أول الخونة الذين يدخلون الدار:

(سعى الى الأستاذ مرتديا هلاهيل الثياب، بدأ هادئ الأعصاب عندما قال له إن مستقبله ضاع بسبب الأنباء. إذ نشرت صورته كمتهم في قضية تزوير، كاد وكيل النيابة يخلي سبيله لصغر سنه، لكن فضيحة النشر بددت كل أمل. حتى والده الذي يعمل عرضحالجيا أمام إحدى المحاكم– في رواية أخرى نجار براميل– طرده)(7).

إن الأستاذ لم يعين التنوخي في الجريدة فحسب، بل جعله بعد مدة نائبا له في رئاسة التحرير بسبب ميله الى الخيانة. ولأنه يرغب بشغل الشخصيات غير السوية للمناصب في الدار. والتنوخي نفسه قد خان الأستاذ فيما بعد وأخذ يرفع التقارير السرية ضده الى دائرة الأمن في الخطط، حتى اصبح رئيسا للتحرير بعد اختفاء الأستاذ، أو تغييبه قسراً. كما إن الأستاذ يعين رونق سكرتيرة خاصة له بعد أن أصبحت محظيته، ثم مومسا.

لقد قدّم الغيطاني ايديولوجيا الهدم مجسدة بشخصيات الأستاذ رئيس تحرير جريدة الأنباء ونائبه التنوخي وسكرتيرته الشخصية رونق والمسؤول المالي في الدار الطنبولي، وغيرهم، حاملين سمات الفساد وعدم الكفاءة وعدم النزاهة والخيانة، ليشكلوا نواة انهيار الدار والخطط عموما. ومن الملاحظ أن الغيطاني لم يكن مشغولا برسم شخصيات حية ونابضة بالحياة قدر انشغاله برسم ملامح المنظومة القيمية لأيديولوجيا الهدم، إذ يجب أن تحتفظ الرواية (بمنطقها الداخلي، ومنطق أبطالها وكلماتهم بوصفها كلمات حياتية تخص الغير لا المؤلف، لها كامل القيمة وكامل الاستقلالية)(8). ولهذا، نجد أنه من غير المنطقي ولا من المقنع أن يعمد المسؤول الى جمع كل هذه السمات السيئة مجتمعيا وأخلاقيا وإداريا إلا إذا تعمد إفشال الدائرة التي يديرها. ولذلك يمكن القول إن هذه الشخصيات هي رموز للفساد والمحسوبية والانتهازية والجهل، التي تؤدي الى الهزائم، أكثر منها شخصيات تمتلك الدينامية، ويمكن تخيلها في المجتمع.

أما الأيديولوجيا الثانية فهي أيديولوجيا البناء، ومن سماتها مقارعة الفساد، والنضال، والعلم، والتمرد على الظلم، والحفاظ على الماضي، والبناء للمستقبل. تتجسد هذه الأيديولوجيا عبر عدة شخصيات، منها: الوتيدي، والخضر، وألياس، وقنديل الأزهري، وخالد، والمهندس ضرغام، وغيرهم.

على الرغم من ضخامة جسد الوتيدي ومظهره المخيف إلاّ أنه مسالم، يريد أن يعمل ويعيش بأمن وسلام. وحين رآه الأستاذ في النادي الاجتماعي الذي يعمل فيه نادلا، قرّبه إليه ووظفه في الجريدة. وكان من أهداف الأستاذ أن يزوّجه أثيل التي فضَّ بكارتها. لكن فيما، بعد جعله الأستاذ، ومن ثم التنوخي، جاسوسا على العمال دون أن يدري:

(طلبوا منه أن يصاحب العمال، بدا له تعمد ذلك منفرا. لكنه هدأ عندما اقتنع بأنهم يقصدون حماية الدار، وحتى لا يتسلل أحد العجم)(9).

من الواضح أن الراوي الخارجي يبئر السرد على شخصية الوتيدي، فيتمكن من الدخول الى عالمه الداخلي، ومن ذلك تأرجحه بين استنكار ما يُطلب منه واقتناعه بشرعية العمل المطلوب منه. ولأنه نقي السريرة، فقد شعر بالندم لأنه ردّد ما طلبه منه التنوخي عن مصير الخضر:

(إنه حزين، ممرور، لأنهم استخدموه ضد الخضر، طلب التنوخي منه أن يردد بين العمال أخبارا عن اعتراف الخضر على آخرين، وانهياره، وأن قوات الأمن تراقب الذين تعرّف عليهم، وسيقبض عليهم قريبا. ردد ما أُمر بترديده. ليته يستطيع الرجوع ولو الى شارع واحد، ربما أصلح ما فسد، لكن هيهات)(10).

إن توظيف الأسلوب غير المباشر الحر في نقل كلام الوتيدي يدل على تبني الراوي للموقف الأيديولوجي للشخصية. فالتلوين العاطفي للنص يدل على تعاطف الراوي مع الشخصية في ندمها على ما فعل. وهنا يؤكد الراوي على تغير وعي الشخصية من الخضوع الى الندم على إطاعة المسؤولين في كل ما يطلبونه منه. ولعل مثل هذا التصوير للعالم الداخلي للشخصية وانتقالها من القبول الى الشك بطبيعة هذا الطلب، الى الندم على الإساءة لأحد أهم العمال وهو الخضر. كل هذا التصوير يجعل الشخصية حية نابضة بالحياة ومقنعة ويمكن تصورها ذهنيا. وفي نهاية رحلة التطهير للتحول من جانب الشر الى جانب الخير، يعلن ندمه أمام الخضر وانتماءه الى جماعته:

(هذا الوتيدي العملاق الذي يزلزل الصخر جثا أمامه، ونكّس رأسه وطلب منه أن يسامحه)(11).

إذا كان الوتيدي يمثل التأرجح الأيديولوجي بين الفئتين الأيديولوجيتين، فإن الخضر يمثل الطرف المناقض لجماعة الأستاذ. فحين طلب الأستاذ من الوتيدي أن يكلمه عن الخضر، جاء وصف الوتيدي للخضر كما يأتي:

(قال إن الخضر كان على خلق، يعرف الواجب، محبوب، له تأثير قوي، غريب على من يحيط به، أية خناقة هو كفيل بفضّها. الكل يسمعون كلامه مع أنه ليس أكبرهم سنّا. ولحظة دخوله المقهى تتحول العيون عليه. ويتنافس الجالسون على استضافته)(12).

يقدم الوتيدي وصفا أنموذجيا لشخصية الخضر من الناحية الاجتماعية. ولأنه يحمل كل هذه الصفات الإيجابية، فضلا عن الشهامة والبساطة، فإنه يعد من أعداء أيديولوجيا الهدم التي يقودها الاستاذ، ولذلك وضعوه في خانة "العجم" وهو اللقب الذي أطلقوه على معارضيهم. وهذا اللقب ليس "بريئا"، فهو يحيل على الغريب والأجنبي الذي هو ليس عربيا، وكأن من أطلق هذا اللقب يريد أن يقول إن أفكار هؤلاء المعارضين ليست مصرية ولا حتى عربية لكي يُبعدوا الناس عنهم ويخيفوهم منهم:

(تعجّب [الخضر]، لماذا يسمون بالعجم؟ قال الدكتور فهمي إننا نُعرف خارج الخطط بغير ذلك. هكذا أطلقوا علينا داخل الخطط، أحاطونا برهبة، ليخيفوا الناس، ويقصوهم عنا. المهم ألاّ نضلّ. ألاّ نبتعد عمن نعمل من أجلهم فقراء الخطط)(13).

إن هذه التسمية تعكس وجهة النظر الأيديولوجية لمن أطلقها، وهو معسكر السلطة الحاكمة تجاه المعسكر المعارض لهم، وذلك من أجل سلخهم عن جماهيرهم (فقراء الخطط) كما يسميهم د. فهمي أستاذ الفلسفة الذي ينتمي الى التيار اليساري المعارض. كما ينتمي الى المعسكر المعراض (العجم) التيار الإسلامي كذلك، الذي يسمي الراوي الخارجي اتباعه– ومنهم شخصية قنديل الأزهري– بالمرابطين، وهي تسمية دينية جهادية من التراث الإسلام، فضلا عن المثقفين والواعين الرافضين لسلوكيات السلطة الحاكمة. كل هؤلاء ينضوون تحت مسمى "العجم". ولذلك يتبين أن هدف هذه التسمية تضليل الرأي العام، وإخافة الناس من وشيطنتهم، لكي لا ينتمي أحد إليهم.

عندما اكتشف الخضر جوهر هؤلاء العجم وأهدافهم النبيلة وكفاحهم من أجل فقراء الخطط والطبقات المسحوقة منهم، قرر الانتماء الى هذه الفئة المعارضة، لاسيما بعد التعذيب الذي تعرّض له في المعتقل:

(إن الخضر مطمئن لعبوره الميدان بصحبة العجم، لو أن الأمور مضت بخلاف ذلك لكان عبوره الميدان عاديا. لكنه لا يندم، عرف معهم أمورا لم يكن يعرفها... عرف أن العجم يتحملون الأذى من أجل آخرين لم يسمعوا بهم، ولم يعرفوهم، ولم يروهم، ولن يلتقوا بهم في أي قسم من الخطط، وأنهم يبغون دنيا تفيض عدلا وسلاما بعد أن مائت هذه الخطط ظلما وجورا)(14).

بحسب خطط الغيطاني، يأتي الميدان بعد السور السادس الذي يحيط الخطط، والعبور الى الميدان يرمز الى القرار الذي ستتخذه الشخصية في العبور أو البقاء في الخطط. وهنا نرى أن الخضر قد قرر العبور، وبمعية العجم، وكأنه خرج الى الدنيا من جديد. ولعل الميدان هنا يرمز الى اليوم السابع من أيام الخلق، الوارد ذكره في قصة الخليقة. فكما أن الله خلق السماوات والأرض في ستة أيام، وفي اليوم السابع "استوى على العرش" بحسب التعبير القرآني(15)، أو بارك الله خلقه وقدسه في اليوم السابع بحسب التعبير التوراتي(16)، فإن العبور هنا يأتي تتويجا لاجتياز السوار الستة والخروج من عوالم الظلم والاضطهاد الى الكفاح والنضال من أجل إعادة بناء الخطط على أسس العدل والمساواة والسلام. ومن الجدير بالذكر أن الرقم (7) يتكرر في معظم روايات الغيطاني، وكأنه ثيمة ملازمة لنتاجه، مما يستدعي وقفة منفصلة عنه.

وعندما يجتمع الخضر وسليمان وألياس خارج الخطط، فإنهم يشكلون قيادة ثلاثية للمتمردين على الظلم والجور في الخطط:

(قالوا إن الخضر عرف الشقاء طوال عمره. ومارس كافة المهن والحرف. تقلب في طوائف عديدة حتى استقر عاملا للطباعة. ثم صار من عتاة العجم. وعندما جاء الى الخلاوي التقى بسليمان الذي علّمه كل شيء عن

الخلاوي وما فيها... في أحد الأيام ظهر المعلم ألياس، وجهه شاهق البياض، عيناه حادتان... عانقه الخضر، نظر كل منهما الى الآخر وبقيا صامتين ساعة زمن. بعدها قال الخضر: جاء الى الخلاوي أحدّ الخلق سمعا)(17).

إن تسمية الشخصيات الثلاث على أسماء مقدسة في الديانات السماوية الثلاث يؤكد أنها مقصودة، لتعزيز الاعتقاد بصواب الخروج على الظلم ومساعدة الناس البسطاء والأخذ بيدهم للوصول الى غاية العدل والمساواة والسلام. ولهذا فإن اجتماع هذه الشخصيات الثلاث في الصحراء وقيادتهم للناس المضطهدين يدل على نضج أيديولوجيا البناء بعد هدم الخطط بسبب الفئة الظالمة التي حكمتها.. كما يدل ايضا أن أيديولوجيا الرواية قد مالت كفتها الى أيديولوجيا الموت والانبعاث عن طريق جماعة الخضر، ونجاحها في تنظيم أمورهم لاقتحام الخطط وتطهيرها من الظلم والفساد:

(يا ناس، الخضر والياس وسليمان لن يموتوا، لأنهم شربوا من نبع الحياة الخفي في الخطط، وعبروا النيران الأزلية. انظروا.. حدّقوا بالبصر الحديد. الخطط زاهية وسرها نائي. الخطط محمية وأصولها محفوظة. من قبل غمرها البحر مرات ثم استخلصها الأشداء المباركون. الخطط مرسى المراسي. الخطط تنضر، لماذا لا تبصرون)(18).

من الواضح أن اللغة الإنشائية قد هيمنت في الصفحات الأخيرة من الرواية، في ظل انتصار ايديولوجيا البناء على ايديولوجيا الهدم، وكأن الراوي قد تبنى المنظومة الأيديولوجية للقوة المنتصرة، إذ نرى أن المؤلف تاخذه الحماسة في الكتابة، وينسى أن ينسب الأيديولوجيا الى شخصية داخل النص، فتأخذه الاستطرادات الحماسية وكأنه يكتب نصا تعبويا. مما يجعلنا نستنتج أن المؤلف قد انحاز الى أيديولوجيا دون غيرها، وبالتالي الى صوت دون آخر، مما يجعل النص ذا تعدد ظاهري للأصوات.

أما رواية "وقائع حارة الزعفراني" فتتاقسمها أيديولوجيتان متعارضتان هما: أيديولوجيا الغيب وإخضاع أهل الحارة لها، ويجسدها الشيخ عطية ومن خضع لطلسمه مثل عويس الفران ووعلي المكوجي وحسين الحوراني الملقب بـ"رأس الفجلة"، وأيديولوجيا التمرد على الغيبيات ومحاولة تحرير أهل الحارة منها، ويجسدها منصور سليمان الملقب بالأسطى رمانة وطاحون غريب وحسان ابن حسن افندي.

يتمثل الحدث المركزي في الرواية بالطلسم الذي صنعه الشيخ عطية، أحد سكنة الحارة، لرجالها، والذي أصابهم بالعجز الجنسي، باستثناء واحد منهم لم يكشف عن هويته.

مرة أخرى، يوظف الغيطاني عوالم الفنطازيا ليجسد الصراع الأيديولوجي بين التفكير الغيبي والتفكير المادي، بأجواء شرقية لحارة شعبية ينتمي إليها الناس البسطاء. الطرف الأول في هذا الصراع يمكن أن نسميه الطرف الغيبي، حيث يجد أهل الحارة أنفسهم أمام وضع فنطازي غريب، وهو العجز الذي أصاب الرجال على نحو غير متوقع، وليس أمامهم إلاّ اللجوء الى الشيخ عطية لإنقاذهم من الوضع الغريب والمحرج الذي وجدوا أنفسهم فيه:

(برقت عينا الشيخ عطية في السواد. سمع صوت أوراق تُقلَّب. أجرى حسابات. لفظ تمتمات بصوت يشبه صوت طفل. لم يستطع الأسطى رفع البصر، لكن خُيّل له أن الشيخ لا ينتبه له. الأوراق تُقلَّب بطريقة غامضة. همس منكسرا: أنه إذا لم يُشفَ فستطرده. بعد صمت قال الشيخ: "تعال إليّ صباح الجمعة الذي يلي صباح الجمعة المقبل قبل طلوع الشمس)(19).

من الواضح ان المشهد مبأر من خلال عيني الأسطى عبده وأذنيه وكلامه، على الرغم من أنه جاء بضمير الغائب، فلمعان عيني الشيخ عطية، وتقلب الأوراق بطريقة غامضة من إنتاج عيني الأسطى عبدة. وسماع تمتمات الشيخ غير المفهومة وكأنها صادرة من طفل وكلامه الحاسم مع الأسطى من إنتاج أذني الأسطى عبده. أما الهمس المخذول فهو من إنتاج لغة الأسطى التي أعاد الراوي انتاجها بالأسلوب غير المباشر. إن تحليل النص ايديولوجيا يظهر هيمنة الجانب الغيبي الصادر من الشيخ عطية. فبدءا من اسمي الشخصيتين يتضح الموقف الأيديولوجي. فاسم الشيخ يحمل معنى العطاء بينما اسم الأسطى يحمل معنى العبودية. ووظيفة الشيخ تحمل سمة الوظيفة الدينية السلطوية، بينما وظيفة الأسطى عمالية، فهو سائق في النقل العام. أما المشهد نفسه فيوحي بالكثير من ناحية الموقف الأيديولوجي، فعينا الشيخ تبرقان وسط الظلام، بينما الأسطى لا يجرؤ على رفع عينيه بسبب حراجة وضعه والموضوع الذي جاء من أجله الى الشيخ. كذلك فإن الشيخ يؤدي أفعالا مثل النظر بحدة وتقليب الأوراق وإجراء الحسابات والتمتمة والكلام الحاسم، بينما الأسطى عبده عاجز عن إتيان أي فعل سوى الهمس المنكسر. كما إن صيغة كلام الشيخ هي الصيغة الفعلية، بينما صيغة كلام الأسطى هي صيغة التوسل. الشيخ بيده مفاتيح الشفاء، والأسطى مريض بعجزه. الشيخ فاعل الطلسم، بينما الأسطى من وقع عليه أثر الطلسم. هذه الثنائيات الضدية ستحكم أعضاء أيديولوجيا الغيب طيلة أحداث الرواية، المنقسمين على قسمين: الشيخ وسلطته الدينية مع معاونيه من جهة، وأفراد الحارة الخاضعين لهذه السلطة الغيبية من جهة أخرى.

لقد اختار الشيخ عطية العيش في حارة الزعفراني التي يسكن فيها أناس بسطاء لكي يتمكن من التأثير بهم ونسج أسطورته الخاصة بين العوام:

(يؤكد الأهالي أنه سيرى القيامة بعينيه. ولد من بطن أمه نابت اللحية. تكلم بالقرآن قبل خروجه من الرحم... لم يرَ الأهالي طعاما يجيء إليه أو بقايا تخرج من عنده. يقولون: إن الجنَّ يخدمونه، يطيرون الى السماء، يتنصتون على ما يتهامس به الملائكة بخصوص مصائر الناس)(20).

تتكرس السلطة الدينية للشيخ عطية في ظل إيمان أهل الحارة البسطاء بالغيبيات والخوارق التي يتمتع بها الشيخ مما يدل على قربه من الله، أو هو بالنسبة لأهالي الحارة ممثل الله في الأرض، بحيث يعلم حتى آجال الناس، لأنه يسخر الجن التي يمكنها الوصول الى السماوات السبعة ومعرفة مصائر الناس . وبالتالي يملك الشيخ قوى غيبية مما يميزه عن بقية البشر. ومن خوارق الشيخ التي تتناقلها الألسن في الحارة: الخلود في الأرض، ومجيئه الى الدنيا رجلا، ونطقه للقرآن جنينا وخدمة الجن له، وعرفته بمصائر الناس ومستقبلهم. وزواجه من جنية جميلة جدا. وطوافه في المعمورة على ظهر مارد. ومقدرته بالحلول والاتحاد في هيئات مختلفة. وتحليه بالبركة من الله، وغيرها. إن إيمان الأهالي بكل هذه الخرافات والغيبيات والخوارق المنسوبة الى الشيخ عطية، لا سيما اطلاعه على الغيب، جعله شخصية غامضة ومهابة ومخيفة، بل وحتى مقدسة. مما يجعلها مؤهلة لتقود أيديولوجيا الغيب في الحارة.

ولعل ما كرّس هذه الهالة من القدسية على الشيخ عطية هو لجوء الأهالي إليه في محنة العجز وبلاء الطلسم، علّه يشفيهم منه. وعند ذهابهم إليه تأكدوا أنه تمكن منهم، وبدأ بممارسة سلطته الغيبية عليهم:

(قال: إن طلسمه قوي، متحرك، شامل، نافذ، واعر، أعدّه لحكم ارتآها، وتدابير سيعلن عنها في حينها... سر الطلسم لا يعرفه إلاّ هو، لن يفكه إلاّ هو. لن يفلح أي طلسم آخر في إفساد آثار طلسمه... عليهم الانصراف ومتابعة ما سيقوله... سيقوم عويس فقط بالتردد عليه مرتين، عند شروق الشمس، وعند غروبها، ليسمع منه وينقل عنه)(21).

من الواضح أن الشيخ عطية أصبح صوتا مركزيا في الحارة؛ فهو يأمر أهالي الحارة وينهاهم ويوجههم، وأصبح صاحب سلطة مركزية بحكم تمتعه بالسلطة الدينية والغيبية التي تتحكم بأهالي الحارة، وبحكم امتلاكه مفاتيح الطلسم وأسراره وكيفية الخلاص منه. هذه السلطة الدينية التي يمكن تسميتها بأيديولوجيا الغيب اكتسبت قوتها ونفوذها في أهالي القرية بسبب جهلهم وضعفهم وتغييب الوعي لديهم. مما جعل الشيخ عطية متمكنا منهم ومتحكما بمصائرهم بسهولة. ومن اللافت أن الشيخ عطية قد اختار عويس الفران معاونا له ووسيطا بينه وبين

الناس. وهذا الاختيار لكي يحتجب عن الناس ويبقى غامضا لديهم، ويحيط نفسه بنوع من الهالة القدسية، لأن ظهوره المتكرر واختلاطه بالناس سوف يفقد هيبته وقدسيته بينهم، بينما هو يريد تسلط عليهم والتحكم بهم. كما إنه في مرحلة لاحقة ينشئ الشيخ عطية شبكة من "المنذرين" لكي يهيمن على البنية الفكرية للناس كافة:

(قال: إن الدنيا ستقسم إلى سبعة أقسام، يتولى كل منها منذر يبلّغ، ينبّه، يشرح، يقسّر، يوضّح، ينظّم العلاقات والمصائر، ويرتّب الأحوال. قال: إن كل شيء سيبدل تبديلا، وإن الأحوال الخاطئة ستصحح، وإن الجماد سيتكلم، وستضيق البحور بالحب. واليوم العظيم الذي تسود فيه العدالة آتٍ لا ريب فيه)(22).

إن اكتمال شبكة المنذرين التي ابتدأها العجوز سلام، الشرطي المتقاعد، توحي بالرسم الغيبي للديانات السماوية والوضعية. إذ إن كل صاحب رسالة دينية يعمل على تكوين مجموعة من أتباعه المخلصين هدفها نشر أفكار صاحب الرسالة، ويكونون حلقة في النظام الإشاري بين صاحب الرسالة وجمهوره المؤمنين به. ففي حالة الشيخ عطية يتكون هذا النظام الإشاري من الشيخ، وهو صاحب الرسالة ثم المنذرين، وعددهم سبعة على عدد أيام قصة الخلق، ثم المبلغين مثل عويس الفرّان. والملاحظ أن شعار تحقيق المساواة والعدل قد جاء في إطار حركة غيبية كلية تبدأ بمعاناة الإنسان وتعرضه للظلم والاضطهاد وسلب أعز ما يملك من خلال الطلسم، ثم يأتي الفرج بعد ذلك وتتحقق احلامه. وهذه الأيديولوجيا الغيبية، تجعل الإنسان يرضخ للظلم بانتظار اليوم الموعود الذي يستعيد فيه الإنسان وضعه الطبيعي. وهذه هي تحديدا أسطورة الموت والانبعاث ذات البعد الغيبي التي خدّر فيها الشيخ أهالي الحارة، ومن ثم أخضعهم لإرادته.

وفي ظل إيمان أهالي الحارة، مثل الأسطى عبده، وعلي المكوجي، وحسين الحاروني "رأس الفجلة"، وعويس الفرّان، والصول سلام وغيرهم، بالقدرة المطلقة للشيخ عطية، لاسيما طلسمه وقوته الخرقة، يستمر الشيخ عطية بالسيطرة على أذهان الناس، وإصدار الأوامر دون أي اعتراض أو احتجاج:

(حدث في الليلة نفسها أن أصدر الشيخ تعليمات جديدة، تضمنت مطالب يمكن اعتبارها أوامر. كل ما يُنسب إليه يعتبر شديد الخطورة بالنسبة للزعفرانيين، تبدو بعض التعاليم شاذة، غريبة، لكن لا يُسمع احتجاج أو تعجب، لا يجهر أحد بمعارضته)(23).

يصور النص الطاعة العمياء التي يبديها أهالي الحارة للشيخ عطية. وهي طاعة مستمدة من الأيديولوجيا الدينية التي تأمر الناس بإطاعة "ولي الأمر". إذ طالما تحكم الشيخ بالأهالي وهم موافقون على ذلك طائعون له، فهو ولي أمرهم. وتستمر هذه الأيديولوجيا على مدار الرواية.

ومن اللافت للنظر أن الشيخ عطية يتخذ دور المنقذ أو المخلص الذي سيحقق المساواة الحقيقية بين البشر، وإنهاء كافة مظاهر الصراع والمنازعات بينهم بحيث يعيش الناس بهدوء وسلام، وهذا ما أكده تقرير لأمن الدولة:

(إن طلسمة الحارة ليست إلا خطوة تتبعها خطوات. وهكذا يفيق البشر بعد إحداث الصدمة. ثم يضطرون للامتثال الى ما يريده. ويقولون إنه وعد الكل خيرا. وقال إنه لن يعد بآمال ستحققها أجيال آتية، أو عصور قادمة. جميع الأحياء في عالمنا سيرون تحقيق ما يقوله. وهكذا يلحق كل إنسان أياما تهدأ فيها الأنفاس، وتزول الضغائن)(24).

يحمل الشيخ عطية فلسفة الموت والانبعاث، إذ يخضع أهل الحارة، بعد إصابتهم بالعجز وفقدان رجولتهم، للأمر الواقع وينتظرون الخلاص مما هم فيه من الشيخ عطية، ممثل الغيب وصاحب الكرامات، كي تحل بركته عليهم وينقذهم من الطلسم.

لكن أيديولوجيا ثانية معارضة لأيديولوجيا الغيب تظهر بين أبناء الحارة، يمكن أن نسميها أيديولوجيا التمرد. وهي ردة فعل على الأيديولوجيا الأولى ومعارضة لها. ظهرت بوادرها بعد أن أخذ الأهالي يرددون الكلام عن خوارق الشيخ بخيال جامح، فظهر صوت خافت يشكك بمثل هذه الخوارق:

(أبدى عدد قليل مخاوف، كيف يُنتظر خير من كسيح مُقعد؟ لامهم السامعون وطلبوا منهم سحب ما قالوه)(25).

إن هذا الاحتجاج القائم على الشك بقدرة الشيخ عطية على الإتيان بالخوارق لا يستند الى فكر أو فلسفة، بل رأي عارض سرعان ما يتلاشى، كما تلاشى احتجاج سيد أفندي التكرلي والست بثينة وخضعوا للأمر الواقع وهدأت نفوسهم ورضوا بما هو موجود بانتظار الفرج من القائم على أمرهم وهو الشيخ عطية.

أما منصور سليمان الملقب بـ"الأسطى رمانة السياسي" وهو اللقب المحبب لديه، لأنه يشير الى الطبقة العمالية التي ينتمي إليها– أما عند دوائر الأمن فأسمه "رمانة" فقط– فإنه يفسر ظاهرة الشيخ عطية، ومصدر معلوماته، تفسيرا واقعيا بعيدا عن الغيبيات:

(خوف الناس يتضاعف خشية أن يفشي الشيخ بعض أسرارهم. يتساءلون: كيف توصّل إليها؟ يتعجب رمانة. هل نسي الزعفرانيون أنهم مصدر كل ما يعرفه الشيخ عنهم.. إنه يعيد ما قالوا عندما لجأوا إليه لحل مشاكلهم)(26).

يرفض الأسطى رمانة التفسير الغيبي لظاهرة الشيخ عطية الذي يسيطر على الأهالي بسبب كم المعلومات التي لديه عنهم. وهذه المعلومات جمعها الشيخ من الأهالي أنفسهم لتكون لديه قاعدة بيانات عن كل شخص في الحارة. وهذا التفسير يستند على الفكر المادي وليس على الفكر الغيبي. ولذلك فإن هذه القدسية التي يحيط الشيخ عطية نفسه بها إنما هي مصطنعة ولا أساس غيبيا لها. ينطلق هذا التفسير المادي من الوعي الذي يمتلكه رمانه بوصفه ناشطا سياسيا ينتمي الى التيار اليساري الذي قضى بسبب الانتماء إليه أربع عشرة سنة من أيام شبابه. هنا يتكون صوت أيديولوجي آخر – يتجسد من خلال الأسطى رمانة وامتداده الفكري الشاب إحسان ابن حسن افندي أنور – يختلف مع الصوت الأيديولوجي الأول (الصوت الغيبي) ويناهضه، ويعمل على مقاومته. وهذا البناء هو أساس تعدد الأصوات في الرواية، أي لا تظهر التعددية الصوتية (إلاّ على ضوء نص يتأسس في علاقة مع نص آخر بشكل أشبه بازدواج)(27). بمعنى أن من شروط ظهور تعدد الأصوات في الرواية حضور نصين، يمثلان صوتين، بينهما علاقة ازدواج أو تناقض في نظرتهما الى العالم المروي. فالنظرة الثانية في الرواية التي يجسدها الأسطى رمانة تدخل في تناقض وصراع أيديولوجي مع النظرة الأولى التي يجسدها الشيخ عطية.

كما يرى الصحفي المستقل حمدي عباس الشيخَ عطية مجرد أسطورة يتداولها الناس البسطاء ويؤمنون بها:

(يقول حمدي: إن ما يرغبه سيثير دهشة عاطف، يود لو قابل الشيخ، يصغي إليه. أحيانا يخيل له أن هذا الشيخ لا وجود له على الإطلاق، وأن أهالي الزعفراني وقعوا ضحية أمور غامضة)(28).

يمثل الصحفي حمدي عباس وجهة نظر أيديولوجية خارجية، موضوعية، لأنه ليس من أهالي الحارة، ولم يؤثر عليه الجو الغيبي الذي أحاط بالأهالي، وجعلهم لا يدركون جوهر ما جرى لهم، وكأنهم جرى تخديرهم ليؤمنوا بالغيبيات الصادرة من شيخ الحارة. ولهذا لا يرى قدسية للشيخ عطية، وان الأهالي تم تضليلهم نظرا للجهل الذي يغلب عليهم.

والملاحظ أن المؤسسة الأمنية الرسمية لم تتدخل في ظاهرة الطلسم، واقترحت على الأهالي اقتحام حجرة الشيخ والقبض عليه ومن ثم تسليمه الى الجهات المختصة. لكن الأهالي رفضوا هذا الحل:

(بعد العصر خرج وفد زعفراني... أبلغوا رجالنا أن أهالي الزعفراني سمعوا كل ما وُجّه إليهم من نداءات. ويعتبرون ما يجري في الزعفراني أمرا يخصهم. وهم بأنفسهم الذين سيتولون أمورهم مع الشيخ. ولن يسمحوا لأي جهة مسؤولة أو غير مسؤولة بالتدخل. وفيما يلي نص ما قاله طاحون غريب: "لو أخذتم الشيخ فمن يضمن لنا زوال الطلسم")(29).

إن أهالي الحارة يرفضون اقتراح السلطات الأمنية بالتمرد على الشيخ والقبض عليه وتسليمه الى رجال الأمن. وهذا الرفض لم يأتِ عن رغبة بالتخلص من الشيخ بأنفسهم، بل خوفا من تنفيذ ما أراده رجال الأمن وبقاء طلسم العجز على رجال الحارة. وهذا يعني أنهم يتبنون ايديولوجيا مهادنة الشيخ والتعامل معهم، مما يضطرهم للبقاء تحت هيمنته، لأنه يمتلك مفاتيح الطلسم، وبالتالي يمتلك السيطرة عليهم، وفرض أيديولوجيته الغيبية عليهم.

وباعتقادي أن المؤلف ترك الأديولجيات في صراع مستمر فيما بينها. فالشيخ جعل له سبعة نوّاب أو منذرين ينشرون منظوره الغيبي على الناس أجمعين. والأسطى رمانة وجد في الشاب إحسان ابن حسن افندي أنور امتدادا طبيعيا لأفكاره اليسارية الرافضة للتفسير الغيبي لما حلّ بالحارة، ويساندهم في ذلك الصحفي حمدي عباس الذي يرفض أسطرة الشيخ عطية. أما المنظور الأيديولوجي الرسمي فإنه يقف على مسافة من الحارة ولا يتدخل في أزمة الطلسم، إذ لا يرى فيها أو في الشيخ خطرا على الدولة بقدر الخطر المحدق الذي يشكله الأسطى رمانة على وجودها. ولهذا يمكن القول إن رواية "وقائع حارة الزعفراني" متعددة الأصوات كونها توفر:

1. كثرة وتعدد الأصوات الكاملة الحقوق والمتساوية القيمة.
2. تعدد العوالم الروائية، وتعدد المحكيات.
3. اعتبار الأصوات وجهات نظر حول العالم، أي كون الأبطال حملة أيديولوجيا.
4. تعدد الدلالات والإيحاءات مما يفتح مجالا خصبا للتأويل(30).

أما رواية "الزيني بركات" فينبني المستوى الأيديولوجي فيها على صراع الأصوات كاملة القيمة والتي تتجسد من خلال الشخصيات الرئيسة في الرواية(31). ومن اللافت للنظر أن الراوي الغائب الخارجي هو المهيمن في السرد، لكن المبئرين مختلفون، ولعل أهمهم الرحالة البندقي وسعيد الجهيني وزكريا بن راضي، فضلا عن الراوي الخارجي. أما من يقع عليه التبئير، أو المبأر، فهو الزيني بركات بن موسى، والأحداث الجسام التي حصلت إبان حقبة توليه منصب الحسبة في مصر. وهذا ما يعطي المبرر، والمساحة، لظهور وجهات النظر المختلفة على المستوى الأيديولوجي بشأن الزيني بركات، مما يسمح بتعدد الأصوات على نحو جوهري.

يمكن عدّ الرحالة البندقي ذا صوت "موضوعي" بحكم موقعه من الأحداث، فهو رحالة إيطالي غريب عن الديار المصرية، لا ينتمي إليها. ومن طبيعة السرد في الرحلة أن يقف الرحالة الواصف على مسافة أيديولوجية من الموصوف، كما إن من سماته أن يصف الأشياء والشخصيات والأماكن الراحل إليها وصفا موضوعيا من الخارج:

(رأيت الزيني بركات قويا عفيا... رأيت الزيني ينزل بنفسه... يجرس المخالفين في المدينة، أعرف رضاء الناس عنه، حبهم له. أذكر ما كتبته بعد لقائي الأول به... لم أرَ مثل بريق عينيه، لمعانهما، خلال الحديث تضيقان، حدقتي قط في سواد ليلي. عيناه خلقتا لتنفذا في ضباب البلاد الشمالية، في ظلامها، عبر صمتها المطبق. لا يرى الوجه والملامح، إنما ينفذ الى قاع الجمجمة، إلى ضلوع الصدر، يكشف المخبّأ من الآمال، حقيقة المشاعر، في ملامحه ذكاء براق، إغماضة عينيه فيها رقة وطيبة تدني الروح منه، في نفس الوقت تبعث الرهبة)(32).

يتشكل هذا النص من محورين، الأول يتعامل مع الوصف الخارجي للرحالة، وهو وصف موضوعي يتكرس لمشاهدات الرحالة البندقي للزيني بركات، في الزيارة السابقة لزيارته الأخيرة للقاهرة. وانطباعه عن الزيني أنه قوي، وعادل، وحريص على التأكد من أسعار المواد بنفسه، ويعاقب المخالفين أمام الناس. وهو بهذا السلوك قد حاز على رضا الناس وحبهم له. أما المحور الثاني فيركز على الانطباع الذاتي الذي تركه الزيني في نفس الرحالة، وتحديدا عيناه، من خلال بريقهما وقدرتهما على النفاذ الى أعماق الإنسان ومعرفة ما يفكر فيه وطبيعة مشاعره. إن الرحالة يقدم صورة ذهنية عن الزيني، إذ يراه يجمع بين النقيضين؛ الرقة والطيبة من جهة، وفي الوقت نفسه الرهبة من جهة أخرى.

ومن سمات الرحالة أنه يرصد توجهات الناس في القضايا العامة. ومن القضايا التي أثارت آراء مختلفة تصل الى حد التناقض هو ظهور الزيني بركات في منصب الحسبة، وبقاؤه فيها مدة طويلة على الرغم من التدافع الكبير بين رجال الدولة للحصول على هذا المنصب، فضلا عن المناصب الأخرى التي تولاها الزيني:

(سمعت من يقول "ابن موسى لا يأتي مرتين في زمن واحد". ردَّ آخر " لو جاءهم من يصلح أمرهم لابد أن يخلقوا فيه العيوب". العجيب أنني سمعت بالأمس رجلا عجوزا يقول... "ظهور ابن موسى من علامات خراب الدنيا. أنا أعرف عنه ما يقشعر الأبدان". لكن الحضور نظروا إليه. سكتوا لحظة. تسابقوا في الثناء على ابن موسى... أي أمر محير هذا، لم أرَ مثله في أي البلاد. الناس تحب شخصا بعينه... في الوقت نفسه يسري شيء خفي. شعور لا يبين، في الأرواح والجماد رهبة خفية من الزيني)(33).

من الواضح أن المبئر هو الرحالة، والمبأر هو انطباع الناس عن الزيني(34). إذ يكتشف الرحالة اجتماع رأيين أيديولوجيين نقيضين في تصور الناس عن الرحالة، فهو محبوب لديهم لكنه مخيف. يأخذ الرحالة الواصف موقعا خارجيا، فهو ينقل ما يسمعه من الناس ويصف ما يشاهده من أفعالهم. ويبقى محافظا على موقعه الخارجي لكنه ينقل إحساسهم الداخلي عبر الحدس (كأنهم، شيء خفي). ولأن من سمات الرحالة الاتصاف

بالموضوعية في تصوير الواقع، فإن الرحالة البندقي لا يحكم على الزيني أيديولوجيا، بل يعبر عن حيرته وارتباكه في طبيعة هذه الشخصية الازدواجية. ومع كل هذه الرهبة التي أحاط الزيني نفسه بها، وتقرّبه الى الناس بطريقة ذكية، مما جعل الكثير من الناس تصدّق نواياه، إلاّ أن هناك أصواتا مناهضة له تظهر أمام الرحالة. ومن ذلك المشهد الذي حصل في أثناء خطبة الزيني في المسجد:

("بعد الصلاة تعال عندي... ولا بد من رد حقك إليك". وفي لحظة بعينها، قبل تهليل الناس، انطلقت صيحة من أقصى المسجد. انطلقت في هفوة صمت، تخللت حديث الزيني.. "كذّاب". هنا لم يصدق ابن موسى، صوت نشاز،.. لمحت ضيقا خفيا حلَّ به. طبعا لابد أن يضيق بهذه الصفاقة. ربما وصل أعداؤه ليفسدوا عليه حديثه الى الناس)(35).

لأن الرحالة الواصف ينقل المشهد كما حدث، ويسمع ثناء الناس أجمعين على الزيني وما يفعله من أجلهم، فقد جاء وصفه للصيحة بـ"صوت نشاز" موضوعيا. كما جاء تفسيره لضيق الزيني بالصيحة بحسد الأعداء الذين لا يريدون له النجاح. وهنا نجد أن الرحالة لا يتخذ موقفا أيديولوجيا واضحا من الزيني، بل هو ينقل ما يراه وما يسمعه، وأحيانا ما يحسه بدون اي تعليق ايديولوجي تجاه الشخصية الموصوفة، وكأنه سطح أيديولوجي أملس تتصارع عليه وجهات النظر المختلفة على المستوى الأيديولوجي. ومن ذلك نقله لمشهد تولي الزيني منصب الحسبة من جديد في ظل الاحتلال العثماني لمصر:

(حاذاني الركب ورأيت الزيني يضع لثاما حول وجهه... صاح المنادي: يأمر خاير بك بتعيين الزيني بركات بن موسى محتسبا للقاهرة... ثم يتوقف المنادي لحظة ويتلو أمرا من الزيني نفسه؛ أصغيت، ينادي موضحا العملة العثمانية الجديدة التي حلّت محل العملة المملوكية القديمة. تابعت الركب الصغير المتجه ناحية باب الفتوح، عند المنحنى اختفى، وابتعد النداء الخافت في هواء شاحب)(36).

من الواضح أن الرحالة البندقي ظل ملتزما بالوصف الخارجي للمشهد من وجهة نظر موضوعية، ولم يوجه إدانة للزيني لأنه قد خان الأمانة وأصبح مسؤولا تحت حكم الاحتلال العثماني، وإن كنا نلمح تصوير مشهد تولية الزيني للحسبة مرة أخرى في موكب صغير، في ظل الخراب والدمار ورائحة النتن وإغلاق الدكاكين وغياب الجمهور، مقارنة مع المشهد الصاخب والمهيب لتوليه منصب الحسبة في المرة الأولى. إن المقارنة بين المشهدين توحي بالموقف الأيديولوجي للرحالة البندقي.

ولعل أكثر الشخصيات دراية بجوهر الزيني بركات هو نائبه في الحسبة زكريا بن راضي، فهو كان يسعى لتولي المنصب بعد خلع المحتسب السابق علي بن أبي الجود، لكن الزيني سبقه الى المنصب بطرق غير شرعية:

(نقلوا إليه أخبار سعي بركات بن موسى لحصوله على منصب الحسبة، ذهابه اليومي إلى الأمير قاني باي، طلوعه إليه، بقاءه عنده، حديثه إليه، ثم ثلاثة آلاف دينار كاملة سلمها إلى الأمير قاني باي... يشتري بها بركات منصب الحسبة)(37).

تأتي أهمية شخصية زكريا لعمله في مجال الأمن والمخبرين، ولذلك عرف أن الزيني قد دفع رشوة للحصول على المنصب الرفيع. كما يوحي هذا الأمر بشيوع الفساد وبيع المناصب في الدولة المملوكية، وحصول الفاسدين والظالمين وغير الكفوئين وغير المخلصين وغير النزيهين على المناصب الحساسة، لا سيما منصب الحسبة الذي يتعامل مع أحوال الناس الاقتصادية والأمنية والسياسية، وحتى الاجتماعية. وهذا ما أدى بالنهاية الى انهيار الدولة المملوكية وهزيمتها أمام السلطنة العثمانية. وهذه الأيديولوجيا يمكن الكشف عنها في ثنايا الرواية. لكن زكريا لا يكشف سعي الزيني لمنصب الحسبة فحسب، بل يكشف ازدواجية صوتية لديه، فهو في السر يسعى للمنصب، لكن أمام الأمراء في القلعة يكشف أمرا مناقضا:

(يطلع متخفيا الى القلعة، ينبطح أمام الأمراء جميعا، يبكي، دموع حقيقية، لا شك في ملوحة طعمها، ينطق ما يجعل زكريا يروح ويجيء حتى الآن... قال بصوت مرتجف "الحسبة يا مولاي ولاية يؤتمن صاحبها على أحوال العباد، وحاشا لله أن أجد في نفسي القدرة على هذا. أنا عبد فقير لا أطيق وصايتي على إنسان. أتمنى انقضاء عمري في أمن وسلام، بعيدا عن أمور الحكم والحكام. ما أريده رقدة آمنة، لا يقلقني فيها سب إنسان، أو سخط مظلوم غفلت عنه ولم أنصفه من ظالمه")(38).

إن ذهاب الزيني سرا الى القلعة وتظاهره بزهده بمنصب الحسبة لئلا يحقق العدالة للناس، وانبطاحه أمام الأمراء وبكاءه. كل هذا جعل زكريا عاجزا أمام قدرة الزيني في إقناع السلطان بتولي الزيني للحسبة. إن زكريا لا ينكر على الزيني استخدامه مثل هذه الطرق للحصول على المنصب، بل إنه حانق لأن الزيني سبقه الى المنصب. ولذلك يمكن القول إن الشخصيتين تمثلان أيديولوجيا واحدة هي الانتهازية. كما إن الزيني لا يرد على رسائل زكريا بوصفه نائبا له، ولا يثق به وأوحى للجميع أن سينشئ فرق مخبرين خاصة به، ازداد قلق زكريا وقرر إثارة الاضطرابات بين الأمراء ليضعف موقف الزيني ويحرجه أمام السلطان. لكن بمرور الوقت، بدأ زكريا يميل الى الزيني، ويُعجب بأساليبه باستحصال الأموال من الأمراء، حتى لو اختلف معه:

(زكريا نفسه حار. كيف يجمع الزيني ثلاثين ألفا من دمياط والمنصورة. في الليلة نفسها قرر أن يمد مقدم البصاصين في دمياط برجال أكفاء يرصدون اساليب الزيني، وما يستحدثه من بدع. في الشهور الأخيرة، لا ينكر إعجابه الخفي بخطط الزيني وتدبيره. زكريا يقدر الناس حق قدرها مهما بلغ كرهه لبعضهم)(39).

أما نقطة التحول في العلاقة بين الشخصيتين فهي ذهاب زكريا الى بيت الزيني ليحذره من تآمر الأمراء عليه لاغتياله:

(أيقن زكريا بخطورة الحال. في الليل التالي خرج متخفيا الى بركة الرطل... عند باب الفتوح، تلكأت خطواته. كيف قرر هذا؟ أحقا يمضي الى الزيني يحذره من القتل؟ يقترح عليه تغيير أماكن نومه كل ليلة في بيت يحدده زكريا. يبث حوله العيون والأرصاد. في الوقت الذي يرصد فيه حركات الأمراء وسكناتهم)(40).

يتحول الصراع الخفي بين الشخصيتين هنا الى نوع من التعاون، وتعضيد أحدهما الآخر من أجل مصالحهما الشخصية، بحيث شعر زكريا بقربه الى الزيني، الذي أقر بالامتنان من زكريا لأنه حذره من الخطر الوشيك على حياته:

(غير أنه قال فجأة بعد لحظات صمت أثقلها ضوء خافت من شمعدان وحيد "أنت يا زيني ستُقتل". أصغى الزيني. بعد يومين عندما تجول زكريا في حديقة بيته، تراءى له وجه الزيني، ثم قيامه المفاجئ، عناقه لزكريا، لمح فعلا دموع التأثر في ركني عينيه. قال "مثلي لا يمكنه العيش بدونك يا زكريا". في البيت لاحظ زكريا ميل خفي الى الزيني)(41).

مع مرور الوقت يكتشف الاثنان أنهما يكملان بعضهما البعض، وكلاهما يبحثان عن مصالحهما الخاصة وليس عن المصلحة العليا للبلاد. ومن أجل ذلك فقد عمل الزيني على تحسين صورة زكريا لدى الرأي العام، بعد أن كانت صورة جهاز البصاصين (الأمن) سيئة؛ بسبب ظلم الناس واضطهادهم:

(مرة ثانية أشار بيده الى الصف الأول، تابعه المخلص الأمين الشهاب زكريا بن راضي (دام زكريا.. دام زكريا) هو الذي قبض بنفسه على ابن الخير المرافع، تسلمه وحبسه، لا لأنه طلع وترافع في حق الزيني، ابن موسى فكر في العفو عنه، يكفيه معرفة السلطان بالحق وأهله. لكن الشهاب الأعظم سيذيقه ما اذاق الآخرين. ابن موسى لن ينثني، لن يتراجع عما يراه عدلا، السلطان معه)(42).

من أجل أن يقرّب الزيني زكريا الى الناس، اتفق معه على التغرير بشخصية مجهولة اسمه "أبو الخير المرافع" مشهور بالإيقاع بين الناس وإيذائهم، وتلفيق قصة صعوده الى القلعة والحديث بسوء عن الزيني أمام الأمراء وأنه يملك مبالغ طائلة اكتنزها بسبب عمله في الحسبة. وحين سقط المرافع في الفخ، تم القبض عليه، والتشهير

به في خطبة المسجد التي ألقاها الزيني. ومن قبض عليه هو زكريا. ساعدت هذه القصة، وقصص ملفقة أخرى، على تحسين صورة زكريا لدى العوام، كما استغلها الزيني للادعاء أنه لا يملك ثمن الثياب التي ينبغي أن يلبسها في المناسبات العامة بحكم منصبه الرفيع، وهو أحيانا يضطر الى الاقتراض من بعض الأمراء.

إن الزيني وزكريا يمثلان صوتا واحدا، بمعنى أن رجال الأمن يمتلكان الأساليب نفسها وهم متشابهون في التسلط على الناس وخداعهم، وتخويفهم، وتجويعهم. ولهذا فإن أحدهما يكمل الآخر:

(لكنه أضمر في نفسه إعجابا خفيا للزيني. فعلا، أن يوجد زكريا بمفرده في زمن واحد أمر لا طعم له. كل منهما مخلوق لصاحبه. وجود الزيني أفاد زكريا، حبّبه الى قلوب الخلق بعد كره ومقت. زكريا طوّر أساليبه وطرقه حتى يواجه مكر الزيني وخداعه، غير الفائدة المباشرة التي أبداها الزيني في عديد من المواقف. أفكاره الصالحة في تطوير أعمال البصاصين، يبتسم زكريا)(43).

ولعل الشخصية الأكثر دينامية وأهمية في الرواية هي شخصية سعيد الجهيني، طالب الأزهر القادم من صعيد مصر، وهو أحد مريدي رجل الدين الشيخ أبو السعود. وتكمن أهميته في كونه يرمز الى عامة الشعب المصري، بآماله وتطلعاته في التخلص من فساد الحكام وظلمهم، ومجئ من يقيم العدل والمساواة بين الناس:

(أخيرا.. أمسكوا علي بن أبي الجود، رسموا عليه، بالأمس قبيل المغرب رأت الجموع موكبه. هل جرؤ واحد على الظن وقتها أن نفس الطرقات ستشهده مشهرا مجرسا فوق حمار أزعر، لا ذيل له. الناس تسد الشوارع كالجراد المنتشر، في القلوب غلٌ رأى الفرصة فانفجر... ها هو يركب حمارا بالمقلوب مبهدل آخر بهدلة. يلطمه الصغير والكبير. النساء يبصقن عليه)(44).

يصور سعيد رد فعل الأهالي حين رأوا متولي الحسبة علي بن أبي الجود معاقبا ومعزرا أمام الناس بسبب فساده وإرهاقه الناس بالضرائب مما لا يمكنهم تحمله. من الواضح أن الراوي خارجي لكن المبئر هو سعيد الجهيني، أما المبأر فهو مشهد تعزير ابي الجود في شوارع القاهرة. يمكن استشعار تبني الراوي لوجهة نظر المبئر سعيد على المستويات اللغوية والأيديولوجية والنفسية وحتى الزمانية والمكانية في هذا المشهد. فتعبيريا، يبدو أن كلمة "أخيرا" قد تسللت من لغة الشخصية الى لغة الراوي. أو أن الراوي استعارها من لغة الشخصية، لأن الكلمة تحمل تلوينا عاطفيا لا يخطئه النظر. فضلا عن حضور ظلال اللهجة العامية في عبارة "مبهدل آخر بهدلة"، التي هي اقرب الى لسان الشخصية منها الى لسان الراوي. وأيديولوجيا، يحمل النص انحياز الراوي والمبئر الى الجماهير الحاضرة تعزير أبي الجود، فجملة "في القلوب غل رأى الفرصة فانفجر" تكرس غضب الناس من الظلم والتعسف الذي كانت تمارسه الشخصية المعزرة، وكنه غضب يوجه الى كل مسؤول

يخون الأمانة ويؤذي الناس، لاسيما البسطاء منهم. فضلا عن صور انتقام الناس منه. كما إن اختيار الراوي لواحد من أفعال الشخصية المعزرة، وهو فرض ضريبة على الملح مما أدى الى شحته في الأسواق وارتفاع سعره، مما ألحق الضرر بالمسلمين، يؤكد انحياز الراوي والمبئر الى الناس ضد المحتسب وإدانة واضحة له. أما على المستوى النفسي فالنص يتبنى المستوى الإدراكي للشخصية المبئرة (سعيد)، إذ إن ذكر اسم المحتسب بدون اقترانه بوظيفته الرسمية الرفيعة– مع أنه يدخل النص للمرة الأولى، ولا يعرف القارئ طبيعة هذه الشخصية– يؤكد أن الراوي قد تبنى المستوى الإدراكي والمعرفي للشخصية المبئرة. وعلى المستوى المكاني، فإن الراوي اقترن مكانيا بالشخصية المبئرة، بحيث "يسمع" الراوي مع سعيد ضجيج الناس خارج رواق الصعايدة، لأن سعيد لم يخرج بعد الى الشوارع. أما جملة "ها هو يركب حمارا بالمقلوب" فتدل على ان الراوي "خرج مع سعيد الى الشوارع و"رأى" معه مشهد التعزير. كما اقترن الراوي بالشخصية على المستوى الزماني، إذ إن توظيف الفعل المضارع في السرد يوحي بجريان الحدث في اللحظة التي يرويها الراوي. من ذلك جملة "يصغي سعيد الجهيني الى ضجة الخلق" وجملة "الناس تسد الشوارع كالجراد المنتشر". حاولنا هنا تحليل وجهة النظر على المستويات الاربعة لنثبت أن هذه المستويات متداخلة في السرد، ولا يمكن فصلها عمليا. ودراستها في فصول ومباحث منفصلة هي لإثبات صحة النظرية فحسب.

وإذا كان سعيد الجهيني يجسد وجهة نظر الأهالي في مصر، فإنه تفاءل– مثلهم– بتولية الزيني بركات منصب الحسبة في مصر، وخشي عليه من مؤامرات زكريا ضده:

(لكن.. ما هذا؟ أيقلق سعيد من أجل الزيني؟... لا ينكر سعيد قرب الزيني من روحه، عندما اقترب لإبلاغه طلب الشيخ أبو السعود. كان الوقت ليلا. خرج إليه الزيني ملثما، عمامته صغيرة. ثيابه عادية شأن فقراء المتصوفة... في أي ملامح يكمن الإباء؟ القدرة على رفض منصب كبير؟ كل من صدر مرسوم بتولية وظيفة من وظائف علي بن أبي الجود انتابته فرحة. بقوا في بيوتهم يتلقون المهنئين. أما بركات بن موسى المرشح لأخطر وظيفة.. رفض)(45).

يحكم سعيد على الظاهر من سلوكيات الزيني التي تتسم بالبساطة والتواضع، مما يقربه من عامة الناس. ولهذا يشعر سعيد بالخشية على الزيني من نائبه زكريا الذي وصفه شيخه ابو السعود ذات مرة بأنه:

(من علامات الساعة، لابد من بقائه فوق الدنيا ممثلا لإبليس حتى يتعذب الخلق أضعافا مضاعفة)(46).

وإذا ما علمنا أن سعيد يتبنى تماما وجهة نظر شيخه بخصوص زكريا، فإنه يقلق على مصير الزيني ممن يحيطون به– ولاسيما نائبه زكريا بن راضي– فهو يراه قويا، ومستقلا، وعفيفا، وشجاعا، ومتواضعا وفقيرا، وأبيّا،

ولذلك رفض منصب الحسبة، كما هو شائع بين أوساط العامة. وهذا يثبت أن وجهة نظر سعيد على المستوى الأيديولوجي هي وجهة نظر عامة الناس البسطاء. والذين هم، في هذه المرحلة، يحترمون الزيني ويبجلونه ويتأملون فيه خيرا في العدل والإنصاف وتحقيق الأمان لهم.

لكن سعيد يبدأ بالتساؤل عن سبب بقاء زكريا المعروف بالظلم والجبروت ورعب الناس منه منو جهازه الأمني المعروف بالبصاصين، ويأخذ التساؤل شكل الحيرة:

(كيف، كيف، كيف يقبل استمرار زكريا بن راضي نائبا له؟ يحيط الحسبة بأعتى البصاصين، أكثرهم مقدرة على بث الرعب والخوف في حجارة المباني، في الطيقان، الزوايا، فوق وسائد النوم، ومآذن المساجد، في أرضية محراب الصلاة. هل ضلَّ عندما ذهب الى بيت الزيني ليصحبه الى كوم الجارح، لكنه لا زال يعلن، من له مظلمة فليطلع عنده.)(47).

يوحي هذا السؤال المكرر بالشك في نوايا الزيني في تصريف أمور الناس، لأن وجود زكريا نائبا للزيني، مع إمكانية التخلص منه، يعني أن الزيني راضٍ، أو على الأقل غير معترض على وجوده ووجود فريقه الأمني المكون من رجال أمن قساة ومرعبين. يصل التساؤل بسعيد الى مدى خطئه بدعوة الزيني للقاء الشيخ أبو السعود المعروف رأيه بزكريا، مع أن سعيد يحاول أن يقنع نفسه أن الزيني مازال هدفه إشاعة العدل بين الناس. توحي نغمة الشخصية في هذا النص المبأر على مشاعر سعيد وحيرته باضطراب وجهة نظره تجاه الزيني. ويصاب سعيد بخيبة أمل كبيرة لا سيما بعد عودة الرعب والخوف الى الناس، نتيجة التوافق بين الزيني وزكريا:

(لحظتها أطبق الهم على ضلوع سعيد، رأى الشهاب الأعظم زكريا بن راضي، أول نواب الزيني، يمشي وراءه، يتشح بعباءة زركش صفراء وعمامة عادية بلا علامات... شكا الى منصور صاحبه وزميله في الرواق همه. قلق منصور، الأروقة تشقى من جديد برجال زكريا، بمستصنعيه. لابد من التزام الحذر في الكلام. سعيد لا يجهلهم، يسمع خطاهم الخفية وراءه. انسلالهم من الهواء. تنفذ إليه نظرات عمرو بن العدوي)(48).

إن رؤية سعيد لزكريا بصحبة الزيني في موكب رسمي توحي باستمرار الخوف والرعب من جهاز البصاصين الذي يديره زكريا. كما عاد المخبرون السريون الى أروقة الأزهر، حيث يعرفهم سعيد ويشعر بمراقبتهم إياه. ويتجسد جهاز المخبرين هذا عند سعيد بأحد طلاب الأزهر وهو عمرو بن العدوي. ولعل تركيز جهاز الأمن على مراقبة رجال الدين وطلبته يكمن في تأثيرهم على المجتمع، وسلطتهم الدينية التي هي أعلى شأنا لدى الناس البسطاء من السلطة السياسية أو الأمنية.

أما ما حسم تردد سعيد بشأن موقفه من الزيني، فهو موقف الأخير من قريبه برهان الدين بن سيد الناس:

("مولانا أنا صحبت الزيني الى دارك... أنا الآن أشك فيه، أتضرر منه. من شهر قلت فلأمضِ إليه أنقل ما سمعته، ما استوثقت منه، عن رجل يقال له برهان الدين بن سيد الناس... شرع في احتكار الفول، عرفت أساليبه، مكاميره، عرفت أن سعر الفول سيشط في الأسواق... هز رأسه وقال.. "سأكلف نائبي بمراقبته ورصد تحركاته..." تصوّر يا مولانا. من سيقيم العدل، من سيمنع برهان الدين بن سيد الناس.. زكريا. لكنني قلت في دماغي ربما يحاول الزيني استخدام لما فيه خير الناس. رحت أرقب برهان الدين، لكنه استمر على حاله)(49).

نظرا لأهمية الموضوع كونه يتعلق بقوت الناس، فإن المؤلف جعل سعيد يسرد بنفسه هذا الموضوع الخطير، ويشكو لشيخه مماطلة الزيني لحسم موضوع احتكار الفول. يتأكد سعيد فيما بعد أن برهان الدين أحد أقارب الزيني، وبسبب محسوبيته وقرابته، فإن الزيني يغض النظر عن احتكار برهان الدين للفول، على الرغم من التشدد في منع أي تاجر احتكار أي مادة غذائية، فكيف بالفول الذي هو المحصول الاستراتيجي في مصر، كونه الغذاء اليومي والساسي للناس في مصر. كما ازدادت شكوك سعيد بإحالة مراقبة برهان الدين الى زكريا نائبه الذي تتميز صورته الذهنية لدى سعيد بالفساد والظلم. هنا بدأت تتبلور وجهة نظر سعيد الأيديولوجية تجاه الزيني، ووضعه في خانة زكريا في تكريس صورة الظلم والفساد في الأجهزة الأمنية في عهد المماليك، ففي (الحالات الأشد تعقيدا، يفسح المبئر الخارجي الموثوق والوحيد المجالَ لتعددية المواقع الأيديولوجية المشكوك في صلاحيتها من حيث المبدأ. البعض من مثل هذه المواقع قد يتزامن جزئيا أو كليا، والبعض الآخر يتعارض بشكل متبادل، ويُحدِث التفاعل بينها قراءة للنص "متعددة الأصوات" و"لا واحدية")(50).

ولكن بدلا من كف يد برهان الدين ومحاسبته صار يؤذي سعيد ويرعبه عن طريق المخبرين السريين، بحيث أصبح يخاف من الاختلاط مع الناس لئلا يكون منهم مخبر ينقل لمسؤوليه ما يمكن أن يقوله سعيد أو يفعله. وهذا الرعب جعله لا يتفاعل مع الأحداث الجسام التي حصلت في مصر أبان احتلال العثمانيين لها:

(كيف لا يحركه ما يجري من أمور؟ انتفض الشامي والمغربي، القريب والبعيد. الحريم يهتفن بالدعاء لطومانباي، حتى العيال الصغار. ربما يخشى أن يُفهم حماسه خطأً، لو زعق، لو جهر بالدعاء، ربما تضايقوا. يريدونه هادئا وادعا. إذا هتف لطومانباي من يدريه أن الدعاء سيسمع بنصه؟)(51).

قلنا في بداية الحديث عن سعيد الجهيني إنه رمز للناس البسطاء، وإنه يحمل وجهة نظرهم في بحثهم عن الأمان والعيش بسلام. لكن ضغط المخبرين على سعيد جعله مسلوب الإرادة ويخاف من المشاركة حتى في الأحداث العظيمة التي تجري أمامه مثل احتلال العثمانيين لمصر. وهذه وجهة نظر مهمة في الرواية، فظلم

الأجهزة الأمنية المرعبة للناس واضطهادهم وفقدانهم الثقة بأنفسهم يجعلهم ضعيفين حتى أمام الأعداء. ونتيجة هذا الظلم انهيار السلطة المملوكية واحتلال البلد من طرف العثمانيين.

مما تقدم نستنتج أن الغيطاني يعمد أحيانا لتوظيف وجهات النظر على المستوى الأيديولوجي وأخذ المساحة الكافية لها في الرواية، لكنه يعمل في الخفاء على ترجيح ايديولوجيا، مما يجعل تعدد الأصوات ظاهريا فحسب، وهذا ما رأيناه في رواية "خطط الغيطاني". وأحيانا يوفر التكافؤ الضدي بين الأصوات المختلفة حتى نهاية الرواية ليترك الصراع مفتوحا بين الأيديولوجيات المختلفة، كما في رواية "وقائع حارة الزعفراني ورواية "الزيني بركات.

قائمة المصادر :

(1) معجم السرديات، إشراف محمد القاضي، الرابطة الدولية للناشرين المستقلين، تونس، 2010: 101.

(2) الصوت الآخر في الرواية العراقية– دراسة في المبدأ الحواري، د. باسم صالح حميد، دار الفراهيدي، بغداد، 2012: 29.

(3) الصوت الآخر في الرواية العراقية، د. باسم صالح حميد: 41– 42.

(4) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار والخطط المقريزية، تقي الدين أبي العباس أحمد ابن علي المقريزي، ت845هـ، الهيئة العامة لقصور الثقافة مصر، 2002. وينظر: توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة، دراسة، محمد رياض وتار، توظيف كتب الجغرافيا في رواية خطط الغيطاني،منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2002: 194–196.

(5) ينظر: الرواية العربية والحداثة، د. محمد الباردي، دار الحوار للنشر والتوزيع اللاذقية سورية، ط1، 1993، ج1: 320.

(6) خطط الغيطاني، جمال الغيطاني، دار المسيرة، بيروت، 1981: 17.

(7) المصدر نفسه: 18.

(8) الصوت الآخر في الرواية العراقية– دراسة في المبدأ الحواري، د. باسم صالح حميد: 56– 57.

(9) خطط الغيطاني، جمال الغيطاني: 131.

(10) خطط الغيطاني، جمال الغيطاني: 223.

(11) المصدر نفسه: 380.

(12) خطط الغيطاني، جمال الغيطاني: 134.

(13) المصدر نفسه : 227.

(14) خطط الغيطاني، جمال الغيطاني: 226- 227.

(15) ﴿**وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ** ﴾ القرآن الكريم، سورة هود، آية رقم (7).

(16) ينظر: الكتاب المقدس ، دار الكتاب المقدس الشرق الأوسط-العهد القديم-سفر التكوين-الخليقة: 1-3.

(17) خطط الغيطاني، جمال الغيطاني: 380.

(18) المصدر نفسه: 438.

(19) وقائع حارة الزعفراني، جمال الغيطاني، دار الشروق، القاهرة، ط3، 2013: 14.

(20) وقائع حارة الزعفراني، جمال الغيطاني: 70.

(21) المصدر نفسه: 91- 92.

(22) وقائع حارة الزعفراني، جمال الغيطاني: 359.

(23) وقائع حارة الزعفراني، جمال الغيطاني: 169.

(24) المصدر نفسه: 204- 205.

(25) وقائع حارة الزعفراني، جمال الغيطاني: 73- 74.

(26) المصدر نفسه: 248.

(27) الكلمة والحوار والرواية، جوليا كرستيفا، ترجمة: حسن المودن، مجلة فصول، القاهرة، العددان: 89- 90، 2014: 44.

(28) وقائع حارة الزعفراني، جمال الغيطاني: 314.

(29) وقائع حارة الزعفراني، جمال الغيطاني: 357.

(30) حوارية الخطاب الروائي، د. محمد بو عزة: 108.

(31) ينظر: تعدد الأصوات في رواية الزيني بركات لجمال الغيطاني، علي رضا وآخرون، مجلة اللغة العربية وادابها ، السنة العاشرة –العدد 4 شتاء 1436هـ: 603-631 .

(32) الزيني بركات، جمال الغيطاني، دار مأمون للطباعة، القاهرة، ط2، 1975: 11.

(33) المصدر نفسه: 170- 171.

(34) ينظر: الرواية العربية ، روجر آلن ، تر: حصة ابراهيم المنيف ، المجلس الاعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، 1970 : 264-265.

(35) الزيني بركات، جمال الغيطاني: 174- 175.

(36) الزيني بركات، جمال الغيطاني: 241.

(37) المصدر نفسه: 36.

(38) الزيني بركات، جمال الغيطاني: 36- 37.

(39) الزيني بركات، جمال الغيطاني: 162.

(40) المصدر نفسه: 164.

(41) المصدر نفسه: 167.

(42) الزيني بركات، جمال الغيطاني: 175.

(43) الزيني بركات، جمال الغيطاني: 227.

(44) المصدر نفسه: 20- 21.

(45) الزيني بركات، جمال الغيطاني: 72.

(46) المصدر نفسه: 69.

(47) المصدر نفسه: 96.

(48) الزيني بركات، جمال الغيطاني: 97.

(49) الزيني بركات، جمال الغيطاني: 106- 107.

(50) التخييل القصصي، شلوميت كنعان: 122.

(51) الزيني بركات، جمال الغيطاني: 222.